أولا: النواة الأولى للمساجد الإسلامية.

إن بدأ الحديث عن أي مسجد في العالم الإسلامي يتوجب الانطلاق من النواة الأولى وهو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بقباء فهو أصل كل مسجد المؤسس على التقوى وأصبح هذا الصرح الأول نقطة انطلاق ومرجعية للمساجد في العالم الإسلامي ولا يخفي على أحد أن هذا المسجد وضع حجر أساسه الرسول بيديه الشرفيتين ونادي أصحابه والكل وضع حجر[1].

والمسجد هو كل موضع يتعبد فيه ، ويعرفه الزكرشي **فيقول «لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه ،اشتق اسم المكان منه فقيل المسجد ولم يقولوا المركع،»**[2] ولم يقتصر المسجد عند المسلمين كونه للعبادة والسجود فقط بل فاق ذلك فهو يقدم رسالة حضارية في مختلف النشاطات التي يعيشها البشر[3]. وله دور تاريخي يبقي بقاء العقيدة ويخلد خلود الإيمان فمن مناراته التي تعلو عنان السماء بكلمات التكبير والتوحيد محققة بذلك قول الله تعالى ،**«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال»** [4].

وهي حقيقة أدركتها الأجيال كبيرهم وصغيرهم، فأولوا الصلاة كل اهتمام والعناية بحرصهم على بناء المساجد كلما أتيحت لهم الفرصة، فأصبحت المدينة الإسلامية لاتعرف إلا بمساجدها، وما لاحت لك صومعة في الأفق إلا قيل هذه بلاد إسلامية فالمسجد مركز الإشعاع الروحي والعلمي ومكان العبادة المثالي .

---

[1] نور الدين علي ابن أحمد السمهودي، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفي**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د م ب ت ط، ص60 .

[2] الزكرشي، **إعلام المساجد في أحكام المساجد**، تحقيق أبو ألوفا مصطفي المراعي، ط5، القاهرة، 1999، ص28.

[3] طه الولي، **المساجد في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1988،ص65.

[4] سورة **النور**، الآية 36.

ولم تكن المساجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قاصرة علي العبادة فقط بل كانت مجالس حرب وعلم وثقافة وكما قال الكاتب الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب ، المسجد هو مركز الحقيقي عند العرب.[1]

وحين أمر الرسول ببناء مسجده في المدينة التي قال عنها ابن خرذابة مدينة ما من ماشي إلا ووجد رائحة طيبة عجيبة،[2] فجاءت عمارة هذا المسجد منبثقة من البيئة المحيطة به سواء من حيث مواد البناء المتمثلة في الطين وسقف النخيل أو من حيث الشكل الهندسي المربع، أسس هذا المسجد في وسط المدينة في ربيع الأول من سنة الأولي للهجرة الموافق لعام622م علي يديه الشريفتين وكان طول المسجد سبعون ذراعا وعرضه ستون ذراعا،وارتفاعه حولي خمسة اذرع وجعل الأساس من الحجارة والجدران من اللبن،[3] وجعل أعمدته من جذوع النخل وسقفه من الجريد،[4]وجعل به ثلاث أبواب، واحد في مؤخرة المسجد وهو الذي صار قبلة فيما بعد وله باب يقال له الرحمة ولأخر يسمي باب جبريل، وكانت القبلة حينها إلى بيت المقدس قبل أن يقول الله لنبيه« **فلنولينك قبلة ترضاها»**[5]، ولما حولت القبلة سد النبي الباب في المؤخرة المسجد وفتح باب اتجاهه، وجعل سقف الأروقة الثلاث من الجهة المصلي بالجريد وترك باقية رحبة[6].

ولطالما فضل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام البساطة في مسجده ليس لقلة الموارد إنما تواضعا وزهدا في الدنيا ولأنه حذر من تطاول في البنيان على غرار الفرس والروم.

---

[1] غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيترى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سوريا، د ت، ص425.

[2] ابن خرذابة ، **المسالك والممالك**، ليدن،1306، د م ط، ص171.

[3] اليأس عبد الغني، **المسجد النبوي الشريف**، ط1، طبع مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1981، ص39.

[4] الهمذاني، **البلدان**، ليدن، 1302،دم ط، ص22.

[5] السورة **البقرة** الآية 144.

[6] صالح لمعي، **المدينة المنورة وتطورها العمراني**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 57.

كما روي البيهقي أن جماعة من الأنصار جمعوا مالا وأتوا به النبي فقالوا يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه إلى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ فقال المصطفي مابي رغبة عن أخي موسى ،عريش كعريش موسى[1].

ولما توفي عليه الصلاة والسلام ، وتولى أبو بكر الخلافة فلم يزد فيه شيئا لانشغاله بحروب الردة، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه بالبن والجريد[2] وزاد أيضا بعض الأساطين،[3] ثم تولي الخلافة عثمان ابن عفان وبني جدرانه وعمده بالحجارة المنقوشة[4] والفسافسا[5]، ثم كانت ثالث زادة من طرف عمر ابن عبد العزيز بأمر من الوليد ابن عبد الملك في عهد الدولة الأموية باستحداث المآذن الأول عام 88م كما استحدث المحراب المجوف الأول مرة حيث زاد فيه الوليد ستة أساطين وكتب إلي ملك الروم **«إما نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم ».** فبعث إليه ملك الروم صناعا وحمالا من الفسيفساء،[6] وضل يستزاد في المسجد حتى بلغ الغاية الجمال.

ومن هنا أدرك المسلمون فضل المسجد فبنوا المساجد وعمروها وما إن نزل الفاتحون أرضا أو مصرا يكون المسجد أول عمل يقومون به امتثالا لقول نبيهم «**من بني لله مسجدا بني الله له مسجد في الجنة».**

كما أعطى المسجد النبوي صورة ثابتة لتخطيط كل المساجد في الأقطار الإسلامية منذ منتصف القرن الأول هجري، ولو كانت هناك بعض الاختلافات وهذا ما ينطبق على مساجد الأولى المبكرة مثل مسجد البصرة*.

---

[1] البيهقي، **دلائل النبوة ومعرفة صاحب الشريعة**، مجلد2، ط1، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، 1988، د م ط،ص542.

[2] الذهبي ، **سير الأعلام النبلاء السير النبوة**، ج1، ت حقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، د ب ت ط ،ص 291.

[3] البشاوي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، 1977، د م ط، ص 80.

[4] الذهبي، **مصدر سابق**، ص291.

[5] البشاوي، **مصدر سابق**، ص80.

[6] نفسه، ص81.

ومسجد الكوفة* ومسجد عمر ابن العاص بالفسطاط، أما تخطيط المساجد ببلاد المغرب والأندلس فلقد كان صورة مشابهة تماما لما هو عليه ببلاد المشرق لان الفاتحون حملوه إلى بلاد المغرب عند الفتح الإسلامي والتي تجسد في أول مدرسة في بلاد المغرب في جامع القيروان الذي أصبح هذا الأخير النموذج الأوحد في انطلاق كافة النماذج بالمغرب ولأندلس ،ولما دخل عقبة ابن نافع وأسس هذا القالب الإسلامي كمركز لانطلاق الفتحات منه وقال يومئذ «إن افريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يامعشر المسلمون أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر»،ثم ركز الرمح وقال« هذا قيروانكم »وشرع في بناء المسجد علي نهج المساجد في المشرق.[1]

ثانيا: لمحة عن طابع المساجد الحمادي:

1- مسجد قصر المنار:

اكتشف هذا المسجد أو بالأصح القول عنه مصلي وذلك نظرا لصغر سنه رشيد بورويبة أثناء الحفريات التي اجراها في سبتمبر1968، حيث يبلغ طول هذا المسجد 1,80م، وعرضه 1,70م وندخله من باب عرضه 74سم وارتفاع جدراه الشمالي 76سم، ويبلغ عرضه1,02م ويفصل المسجد عن صحن القصر فهو في وضعه الحالي عديم الزخارف ويبلغ ارتفاع الجدار الغربي 1,03م،وعرضه 1,80م وسمكه 76سم فهو مزين بكتابة منقوشة في الجص فقدت بدايتها وتحتوي علي جزء من الآية الكريمة ...اسمه يسبح له فيها بالغدو، أما الجدار الجنوبي الذي يبلغ ارتفاعه 2,20م وفيه محراب ذا مشكاة نصف دائري يبلغ عرضها 86سم وعمقها 53سم وكانت مكللة بقبة نصف دائري، يحتوي هذا المصلي[2]

* **الكوفة** ،هي مدينة في العراق على ساحل نهر الفرات مصرها سعد أبي وقاص بعد موقعة القادسية 27هـ بني مسجدها حسب الأخبار المأثورة بان أول من أسسها هو آدم عليه السلام وقيل آن الملائكة أخبرت الرسول ، وقالت إني رايتها خرابا ورايته عمرانا، أن تكون عمرته الملائكة ثم عمره ادم،.وأيام المسلمين أختطها سعد ابن أبي وقاص عام 17هـ وأول مابني فيها هي مسجدها ينظر كامل سليمان الجبوري، **تاريخ الكوفة الحديث**،ط1، مطبعة الحربي الحديث النجف الأشراف 1974،ص 63.ينظر أيضا، هشام الجعيط، **الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية** ، بيروت، 1986، د م،ص 413.

[1] موسي لقبال ، **المرجع السابق**، ص30.

[2] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية...**، ص 216.

علي العديد من الكتابات والآيات القرآنية، وأن بعض الزخارف الموجودة في المحراب لامثيل لها في الفن الإسلامي وعقد محرابه النصف الدائري وأخدود المشكاة وظفريتيها لم توجد في أي مسجد آخر إلا في محراب مسجد قبة الصخرة بالقدس الذي يرجع بنائه إلى عبد الملك ابن مروان،[1] وكما يعتبر هذا المسجد اصغر مسجد في العالم الإسلامي وهو الوحيد في الجزائر يكون تابعا للقصر.[2]

2- مساجد بجاية:

حقيقة لم يبقى أي مسجد من مساجد بجاية الحمادية مثل الجامع الأعظم ومسجد الريحانة ومسجد النطاعين، كان طول المسجد 220 ذراعا وعرضه 150 ذراعا وله واجهة مزينة بسبعة عشر عقدا وباب كبير على يمينه ويساره ألواح رخامية مزينة بكتابات رائعة الشكل وبجانب هذا الباب الرئيسي وكان له 22بابا آخر أحدها يؤدي إلى بيت الصلاة مخصصة للنساء، وداخل المسجد نجد 32سارية من الرخام وقبة عظيمة، وكان أرض المسجد مفرشة بالرخام وجدرانه مغطاة الزليج وعليها كتابات قرآنية وكان إرتفاع مئذنة هذا المسجد يبلغ 60 ذراعا وضلع قاعدته المربعة 20 ذراعا[3].

3- المسجد الجامع بقسنطينة:

يتكون هذا المسجد من بيت الصلاة وست بلاطات موزعة على ثماني أساكيب تتساوي في الاتساع وللمسجد محراب رائع الحنية تعلوها قبيبة مفصصة علي غرار محراب جامع القيروان ويزدان طرف المحراب بشريط من الكتابة الكوفية سجل فيها تاريخ الإنشاء وهو عام539هـ/1136م[4].

---

[1] وبوعوير نبيل، **طرق حماية المعالم التاريخية من خلال دراسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد**، شهادة لنيل درجة الماجستير، قسم الآثار جامعة الجزائر، 2007، 2008،ص23.

[2] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية...المرجع السابق**، ص220.

[3] نفسه ، ص 208.

[4] عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن...**، ص 42.

أما بالنسبة للمئذنة هذا المسجد بطرازها الغريب فإن الأستاذ عبد الكريم عزوق فغنه يشكك إذا ما كانت هذه المئذنة من العهد الحمادي وذلك لشكلها لغريب فهي تختلف اختلافا كبيرا عن الطابع الحمادي وحتى المغرب والأندلس بحيث تنتصب هذه المئذنة بالجدار الشمالي علي غرار مئذنة القلعة وتتكون من قاعدة مستديرة الشكل[1] يعلوها البدن وهو مرع الشكل يتكون من طابقين والطابق العلوي منها يتراجع تراجعا خفيفا عن الادني وينتهي هذا الطابق بشرفة مزودة بسياج مفرغ بالزخارف الهندسية أما قمتها فأسطوانية الشكل تنتهي في الأعلى بقبة مخروطية الشكل.[2]

كما توجد مساجد حمادية أخري على غرار جامع أبي مروان ومسجد ملالة وغيرها التي لم تذكر عنها الروايات إلا قليل.

ثالثا: المسجد الحمادي بالقلعة:

1- تأسيس وتخطيط المسجد.

بني هذا المسجد حماد ابن بلكين علي غرار المساجد الإسلامية السابقة خاصة من حيث العناصر المعمارية وخاصة جامع القيروان باعتباره أول مسجد في المغرب الإسلامي ،ويعتبر هذا المسجد الحمادي ثاني أكبر المساجد في الجزائر بعد جامع المنصورة بتلمسان، اتخذ المسجد القلعة الشكل المستطيل حيث بلغ طوله 63,20م وعرضه 53,20م ويحيط به جدار سمكه 1,50م محصن من الخارج بدعائم مستطيلة الشكل طولها 53,20م وعرضه 34,20م تحتوي على خمسة أساليب وأربعة أبلطة[3]، يقول جورج مارسيه وآخرون أنها مجرد مقصورة صغيرة، بينما ذهب رشيد بورويبة أنها مسجد صغير بني داخل بيت الصلاة بعدما رحل بنو حماد من القلعة أي بجاية وقل عدد السكان توجب تقليص المسجد ليفوق عدد المصلين الباقين(المخطط رقم2).[4]

---

[1] عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن...**، ص 42.

[2] نفسه، ص42.

[3] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية...**، ص213.

[4] نفسه، ص213 ينظر ابن أباجي، **المرجع السابق**، ص72، وبوعوير نبيل، **المرجع السابق**، ص 23. ينظر أيضا، ليفي بروفنسال، **سلسلة محاضرات في أدب الأندلسي وتاريخها**، تحقيق محمد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية ،بالقاهرة، 1951، ص796.

ويقع هذا المسجد قرب دار الإمارة أو قصر البحر ويعتبر الأثر الذي مازال بقاياه ماثلة إلى اليوم (الصورة رقم2)، وهو أول عمل معماري وفني أقامه الحماديين منذ وصولهم ؛إلى الحكم 398هـ وهذا المسجد أعظم مخلفات الحماديين .[1]

2- العناصر المعمارية للمسجد

ا - بيت الصلاة :

هي الجزء المسقوف من المسجد ناحية القبلة وقد لا يزيد عمق بيت الصلاة عن صفين من الأعمدة وقد يمتد فيشمل أكثر من نصف مساحة المسجد وقد تكون بيت الصلاة هي نفسها المسجد حيث ينعدم الصحن ، ويطلق عليها أيضا اسم قاعة الصلاة أو الظلة ، وعند وقوفي في الميدان تبين لي أن بيت الصلاة ذات الشكل المستطيل مثل سابقيها مقاساتها 53,20 م في 34,20 م^2 ، تتألف من ثماني بلاطات موازية لجدار القبلة وتكونها ثلاث عشر بائكة عمودية على جدار القبلة الذي يتوسطه المحراب ونظرا لاندثار المسجد فإننا لا نجد إلا قواعد من الحجر والرخام التي من الواضح أنها كانت تحمل عقودا الحاملة للسقف بالإضافة انه داخل بيت الصلاة يوجد مخطط غريب الشكل يتكون من خمس بوائك وأربع بلاطات ويعتبر هذا الأثر مخطط يدعو للاستغراب لوجوده ضمن بيت الصلاة خاصة وان هذا الشكل معدوم لدا مساجد العالم الإسلامي ومنه نشأ خلاف بين الباحثين هناك من يقول انه مجرد مقصورة للأمير وهذا الرأي ذهب إليه كل من جورج مارسيه وآخرون أما نظرية رشيد بورويبة وصالح بن قربة أدرجوا هذا المخطط[3] ضمن مسجد صغير استحدث بعد هجرة الحماديين إلى بجاية كما أسلفنا سابقا .

[1] صالح بن قربة ، **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة ابن حماد في العصر الإسلامي**، ط1، منشورات الحضارة ، 2009،ص 263. ينظر، يحي بو عزيز، **الجهود الجزائرية الفكرية في الموكب الحضارة العربية**، مجلة الأصالة، العدد19، أبريل 1974، ص 286.

[2] حسين مؤنس، **المساجد، سلسلة عالم المعرفة**، عدد37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص61.

[3] ينظر المخطط، **رقم (2).**

ب ـ الصحن :

عادة يكون الصحن اكبر من بيت الصلاة ببلاد المشرق الإسلامي والجزيرة العربية وهو المتعارف عليه في تخطيط المساجد الإسلامية ، ولاكن اعتماد الصحن صغير الحجم عند المغاربة راجع إلى العامل المناخي بالدرجة الأولى الذي لطالما كان يتحكم في تخطيط المساجد ونلاحظ أن المناطق الحارة كالجزيرة العربية اعتمدت كثيرا على الصحون الفسيحة وبلاد المغرب والأندلس التي تعرف بشدة البرودة وكثرة الأمطار تخلى فيها المهندسون عادتا عن الصحن واكتفوا بترك مساحة صغيرة من بيت الصلاة بدون تسقيف واستعملوها كصحن ، وإذا رجعنا إلى تخطيط المساجد فهو يتألف من قسمين رئيسيين هما الصحن وبيت الصلاة مترابطان في الكتلة واحدة وتكون غالبا بيت الصلاة اكبر حجما من الصحن كمساجد المغرب والأندلس إلا نادرا كما في جامع القيروان وبينما نجدهما متساويان في جامع قلعة بني حماد وطبعا الفرق بين الصحن وبيت الصلاة هو وجود التسقيف[1].

ويبلغ طول صحن المسجد في قلعة بني حماد 53,20م وعرضه 26,90م وهو مستطيل الشكل مفصول عن بيت الصلاة بجدار ذي أبواب وكانت ثلاثة أبواب منه مفتوحة في الصور الذي يحيط به احدهما شرقي والأخر غربي والثالث من جهة الشمال وهذا الباب الأخير يؤدي إلى السلم عدد درجاته تسع درجات فهو مسدود حاليا[2] وفي المسجد سبعة أبواب فتحت في جدار الجامع كلها تؤدي إلى الصحن وبه الصلاة أربعة منها في الجدار الشرقي واثنان في الجدار الغربي وواحد في جدار القبلة [3]وحسب الأستاذ رشيد بورويبة أن صحن هذا المسجد مفروش بالبلاط الأبيض[4] ،لاكن عند زيارة الميدان لم أتمكن وللأسف من مشاهدته لردمه تحت التراب وكثرة الحشائش وذلك لإهمال المسؤولين لهذا الصرح البديع مثل في يوم من الأيام عاصمة جزائرية قوية امتدت من القيروان إلى فأس .

---

[1] بواري اليأس، **النظام التخطيطي لبيوت الصلاة في مساجد المغرب والأندلس من القرن الأول إلي القرن السادس الهجري، دراسة نموذجية**، مذكرة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية، المعهد الآثار جامعة الجزائر، 2012، ص13.

[2] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية...**، ص212.

[3] بواري اليأس، **مرجع سابق**، ص61.

[4] رشيد بورويبة **الدولة الحمادية...** ، ص212.

كما أن هذا الصحن محاط برواق وفي وسط الصحن شكل مستطيل سدادي الأضلع اتضح انه حوضا يبلغ طوله 11,15 م بينما عرضه 5,40م وارتفاعه حوالي 2,80 يقال انه كان مسقف بعقد مكسور لم يبقى إلا جزء منه، وفي الشمال الشرقي من الصحن هناك آثار لقاعة مفروشة بالحجر طولها حوالي6,40م وعرضها 3,40م ويقول رشيد بورويبة أنها كان يقسمها قوس نصف دائرية إلي قسمين[1] أما في الركن الشمالي الغربي توجد آثار غير واضحة قيل أنها كانت تحتوي علي ميضأة وأعيد تخيل ملاحق المسجد من طرف متحف القلعة(الصورة رقم3).

ج ـ المحراب:

جاءت فكرة المحراب من أجل الاستفادة من صف كامل الذي كان يشغله الإمام لذلك واستحدثت فجوة في الجدار له وتعددت أشكاله وأنواعه وزخارفه ومواد بنائه اما من الرخام واو الزليج اوحتي الخشب وغيره وكان اما مجوفا واو سداسيا وتفنن المعماري المسلم في هذا العصر المعماري باروع الزخارف النباتية المتمثلة في أنواع الزهور وزخرفة الأربسك والمسجد الحمادي كغير المساجد الإسلامية فقد شمل علي محراب وسط الجدار الجنوبي من المسجد يحده بابان واحد من الجهة اليمني والآخر من الجهة اليسرى وهو على المحور المئذنة الواقعة في الجدار الشمالي يعتبر من المحاريب الخماسية حسب الشكل الذي رأيته عند عملي في الميدان.

د ـ الأعمدة:

يحتوي مسجد بنو حماد على أعمدة ضخمة من مادة الرخام وقاعدته من الحجر(الصورة رقم4) وقد يبلغ عددها قرابة ثمانون عمودا ومن كبر حجمها وعددها من الواضح أنها كانت تحمل عقودا قوية الحاملة لسقف ضخم وثقيل أو لعل المعماري الحمادي استعمل القباب الضخمة لان مثل هكذا أعمدة يستحيل أن تكون لسقف بسيط أضف إلى ذلك المعماري الحمادي ليس غبيا حتى يضع كثير من الأعمدة ويشغل مساحة اكبر والتي قد تعرقل صفوف المصلين ومن جدران المسجد لاحظت أن جدران المسجد سميكة وحسب

[1] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية...**، ص213.

تقديري لها متر ونصف تقريبا أي نفس سمك الأسوار الخارجية مما يؤكد أن هذا المسجد لم يبني لصلاة فقط إنما أيضا كعنصر معماري دفاعي .

هـ ـ التيجان:

لقد وجد رشيد بورويبة أربعة تيجان في صحن المسجد وهي حاليا موضوعة في المتحف القلعة أحدها يشمل علي صفين من أوراق الأقنثة تعلوها ربع دائري موضوعة بين قرصين أما الثلاث التيجان الباقية فهي بسيطة جدا(الصورة رقم5)[1].

و ـ المئذنة :

ـ وصف المئذنة الخارجيي.

عند وقفي في الميدان وتحديدا على مستوى المحراب قابلتني مئذنة المسجد بتناسقها الهندسي بشكلها المربع الذي يبلغ طولها 24,70م وعرضها 6,50م^2 وهي كتلة واحدة لاهي مثل مئذنة القيروان بثلاث طوابق ولاهي توحي أنها كانت ممن طابقين مثل المآذن الموحدية رغم أنها تشبه بعض الشيء بمئذنة الكتيبة بمراكش الخيرالدا باشبيلية ،كما أن المئذنة الحمادية بالقلعة تستقيم جدرانها كلما ارتفعنا إلي الأعلى الشيء الملاحظ أن سمك جدار هذه المئذنة هو نفس سمك جدار المحيط بالمسجد (الصورة رقم6) وكذا السور، وتتوسط هذه المئذنة الجدار الشمالي من المسجد متبع بذلك المساجد الأولى.

الواجهة الجنوبية.

يصعد إلى المئذنة من خلال خمسة درجات ثم تليها بسطة ثم ثلاث درجات أخري فنجد المدخل الموصد بباب خشبي الذي قيل انه استحدث في الفترة الاستعمارية وباب آخر فوقه من الحديد من الواضح انه جديد الإستحداث وعرض البابين حوالي متر وبعض سنتمترات وأما الطول حوالي مترين تقريبا، وفوق هذا الباب يوجد عقد نصف دائري من الحجارة تقريبا متساوية واضح من تنظيمها أنها مصقولة وفوق هذا العقد مباشرة توجد للوحة حجرية مستطيلة الشكل قوام زخارفه نباتية وهندسية(الصورة رقم7) وفي الجهة الشرقية من المئذنة أعلي اللوحة الحجرية توجد فتحة طويلة الشكل لابد أنها كانت لتهوية واستبعد أن تكون

[1] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية...**ص213

[2] عبد الكريم عزوق ، **تطور المآذن...**، ص35.

للمراقبة بحكم موقعها على مستوى المئذنة المنخفض عكس الفتحات الأخرى(الصورة رقم8)، وتقابل هذه الفتحة من الجهة اليمني للمئذنة آثار من الجبس أو الجير لم أتمكن من معرفة المادة بالضبط ولا سبب وجودها ولاكن من الواضح أن لاعلاقة لها بالترميم وفوق هذا الأثر تحديدا توجد فتحة ضيقة بدت من الداخل وكأنها مكان لعمود خشبي ولو افترضنا أنها كانت تطلق منها السهام فلقد رأيتها من الداخل كانت نهايتها من الخارج منعرجة قليلا استغرب من قال أنها كانت تطلق منها السهام ولم ينتبه إلي هذا الانعراج لان السهم ينطلق من مكان مستقيم كحال الفتحات الأخرى والغريب الذي لاحظته أن هذه الفتحة ورغم سمك جدار المئذنة أنها مطلية من الداخل بنفس مادة الطلاء المستخدمة داخل المئذنة أي مادة الجير(الصورة رقم9).

ورجوعا إلى اللوحة الحجرية فوقها مباشرة يتضح لي أن لون الحجارة مختلفة هي لعوامل الترميم التي خضعت لها المئذنة أم أنها مطلية بمادة بيضاء ربما هي الجير .ثم هناك حجارة مصقولة رقيقة الشكل واضح حسب موضعها أنها كانت تتخذ شكل عقد ثم يليه نافذة مستطيلة الشكل الضلع العلوي فيها عقد على شكل مقبض قفة والواضح أن هذه النافذة لم تخضع لترميم أو إعادة بناء وذلك بسبب عقدها الدقيق الصنعة مصقول الحجارة تقريبا متساوية ثم تليها نافذتين بحجمها لولا أعمال الترميم الخاطئة التي قلصت من طولهما ونفذ فيها الأقواس بشكل كارثيا ومدعومة أيضا بعوارض خشبية ثم تعلو هاتين النافذتين نافذة صماء اقل حجما أيضا تحتوي على عقد نصف دائري ويبدو أنها لم تخضع لترميم وتنقسم هذه النافذة بشكل غريب وحسب عبد الكريم عزوق في كتابه تطور المآذن الإسلامية أنها تتخذ الشكل اللاتينيY[1](الشكل رقم2)والذي تحيط به قطع من الأجر(الشكل رقم 3) ويبقي المعماري الحمادي وحده يعرف ما معنى هذا الشكل الذي قد يظهر لنا بالعديد من الأشكال وما أراها إلا انقسام النافذة إلى جزئين متساويين هذا بالنسبة إلى صف المئذنة الأوسط اما جنبيها فتبدآ نوافذ صماء من النافذة المفتوحة الأولى نافذة طويلة الشكل تأخذ طول النافذتين الأولى والثانية المفتوحتين في وسط المئذنة وتنتهي هذه النافذة الطويلة بعقد دائرة أسفله زخرفة تحمل شكل صدفة (الشكل رقم4)أو هي موضع شكل مافوق هذه الأخيرة نافذة اقل

[1] عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن...**، ص35.

منها حجما بنفس نظام سبقتها إلا أنها مزخرفة النافذة في الجهة الشرقية بلون اخضر قيل أنه خزف (الشكل رقم5)ويلي هذه الأخيرة نافذة أخرى اقل منها حجما وواضح جدا أنها استحدث فيها صفا من الحجارة في أسفلها مما يجعلها اقل حجما من مقابلتها من الجهة الغربية وطبعا في الجهتين من النوافذ الصماء السابقة إلا أن في الجهة الشرقية توجد فيها بقايا الخزف في النافذة الطويلة من الجهة الغربية تحتوي فقط على نصف الصدفية وهذا راجع إلى عوامل التلف وعواد الزمن الشيء الذي لفت انتباهي عند وقوفي خارج المئذنة هي بروز الأقبية التسقيف فالنافذة الأولى بها أقبية متقاطعة اما النوافذ الباقية أقبية برميلية بسيطة وهذا مشاهدته بالعين المجردة والله تعالى اعلم.

هذا مايخص الجهة الجنوبية اما الواجهات الأخرى خالية من أي زخرفة فقط يوجد فيه الفتحات مستطيلة خارجيا اما من الداخل متخذة شكل مزاغل منها ماهو مصمد بالحجارة ومنها ماهو مفتوح ويأرجح بعض الباحثين أن هذه المزا غل والفتحات لها علاقة وثيقة بالأبراج العسكرية وباقي المنشات في مدينة القلعة، اما الواجهة الشرقية للمئذنة فاثأر الترميم الخاطئ واضح مما أعطى للمئذنة منظرا مشوها.

واستعملت في هذه المئذنة حجارة متعددة الألوان والأحجام والأشكال أما مادة الميلاط ربما هي من الطين المدكوك اما جزءها العلوي فقد رمم بالاسمنت المسلح مما أخفى المرممون أي اثر أو دليل على ما كان اعلي المئذنة وأعطى العلماء افتراضات وتخيلات (الشكلين رقم6،7)لا ادري على ماذا مبنية ولعل هذه المئذنة كما هي حالها الآن بدون شرفة أو جوسق أو لعلها مجرد ظلة ليستظل بها المئذنة من حر الشمس وبرد الشتاء خاصة وأنها على شكل منارة عسكرية في هندستها وسمك جدرانها وحتى موقع الجامع مثل موقع جامع المنصورة بتلمسان جاء في أخر القلعة ليكون أخر نقطة للمراقبة جميع ما في القلعة.

ـ وصف المئذنة الداخلي:

يدخل إلى المئذنة من المدخل عرضه حوالي 1,50م وبه باب مصراعيه من الخشب على جانبيه عمودان مدمجان بالجدار يعلوهما تاجان قيل اندثرا حديثا ولم يبقى إلا أثارهما[1]، كما أن الباب الخشبي المستحدث في الفترة الاستعمارية الفرنسية والباب الأصلي غير معروف

[1] عبد الكريم عزوق، **تطور المآذن...**، ص35.

ماحل به ولعل عرب الهلاليين أخذوه أو دمروه أو لعله نقل إلى بجاية أو أخذه الفرنسيين واستحدثوا هذا الباب، وهذا المدخل المفتوح في قاعدتها من الجدار الجنوبي المقابل للمحراب، وعند الولوج إلى المئذنة من جهتك اليسرى تقابلك فجوة في الجدار على شكل محراب مقببة بقبة نصف برميلية عليها آثار الدخان(الصورة رقم10)، ومن الجهة يقابل السلم الذي يحتوي علي سبعة وعشرون درجة(الصورة رقم11) تفضي إلي أعلى المئذنة بحيث أن الدرجات العليا مستحدثة بنفس النظام الدرجات السفلى(الصورة رقم12)، وكما يشغل وسط المئذنة دعامة مركزية طول كل ضلع منها1,50م يلتف حولها الدرج الصاعد المؤدي إلي أعلى المئذنة ويعلو الجهة الغربية للدعامة المركزية عقد نصف أسطواني، أما السلم الداخلي فتختلف عدد درجاته حسب كل دورة، وسقفه قبوات تتناوب فيما بينها قبوة متقاطعة تليها قبوة نصف اسطوانية ويستمر نظام التقبيب على هذه الشاكلة إلى أعلى المئذنة، ومن الملاحظ أن هذه القبوات المتقاطعة تأخذ موضع الزوايا، وهذا نفس النظام طبق في مئذنة جامع القيروان(الصورتين رقم 13،14).

وجميع الدرجات السلم مستطيلة الشكل ماعدا الدرجات الواقعة عند نهاية كل دورة درجتان بشكل مثلثين متناظرين طول كل واحدة 1متر، اما الدرجات العادية المستطيلة لها نفس الطول وعرضها لاتتجاوز36 سم.

ويتخلل جدران المئذنة من الداخل فتحة للإضاءة والتهوية في نفس الوقت، منها الفتحة الشبيهة بالمزغل في الأسوار والقلاع الواقعة في الجانب الأيسر من المدخل مابين عقد المدخل والعقد الذي يعلوه وكما تظهر المزا غل داخل المئذنة منها ماهو مطل على برج المنار مازالت آثارها ماثلة ربما استعملت لتحذير من اقتراب العدو،والفتحة الضيقة التي تحدثنا عنها سابقا المستديرة وعميقة تطل علي الجهة الجنوبية نحو أعلى قمة من هضاب شط الحضنة البعيد عن السور بحوالي 3كلم، من المحتمل أنها كانت برج للمراقبة العدو القادم من مدينة طبنة أو ربما كانت حلقة وصل بين طبنة والقلعة، وتفتح فتحة أخري في الجدار الشمالي المطلة أعلى قمة جبل تقربوست الواقع في الجهة الشمالية للمدينة وأيضا يحتمل أن يكون في الجبل برج للمراقبة من الجهة الشمالي.

ويعلو الدرج الداخلي عند نهاية الجوفة الأولى من الوجه الخارجي للمئذنة قبوة متقاطعة ويستبعد عبد الكريم عزوق أن تكون هذه الجوفة مصممة كشأن ماهو عليه الطاقتين الجانبيتين وفى نهاية الدورة الأولى صعودا نحوى الثانية تتغير طريقة التسقيف الأدراج بأقبية نصف اسطوانية، وبوصولها إلى الدورة الثانية من الدرج نجد نفس الطاقة في الدورة الأولى ويستمر التقبيب في الدورة الثالثة من الدرج نفس أسلوب الدورة الثانية إلى الشرفة المئذنة وفي هذه الدورة تنفتح فيها طاقة ضيقة على شكل مزغل في الجهة الغربية من المئذنة قبالة باب الجنان وأخرى في الواجهة الشمالية تطل علي جبل تقربوست بنفس النظام، وطلي جدار المئذنة بمادة الجير(الصورة رقم15) وتتخلل بعض المواضع من جدرانها ألواح وأعمدة خشبية لتقوية وتثبيت الجدران(الصورة رقم16).